**المحاضرة 3 : الخبرة الجمالية للقارئ :**

إنّ مركز الفرضية النقدية عند ياوس هو الخبرة الأدبية للقارئ ، التي ، بدورها ، تتمحور حول أفق التوقّع Horizon d'attente [[1]](#footnote-1)(\*) كمفهوم و كإجراء ، هذه الخبرة التي يعتقد ياوس أنّها بإمكانها أن تتحاشـى النزعة النفسية التي تطبّق الآليات السيكولوجية في تحليلها لاستجابة القـارئ و تحليله للأعمال الأدبية ، و بالتالي فإنّ تحليل الخبرة الأدبية للقارئ تنزع ، بهدف توصيف عملية استقبال العمل و الأثر الذي أحدثه ، إلى إعادة تكوين أفق التوقّع للجمهور الأوّل الذي تلقى العمل ، أو مجموعة القراء المزامنين لعصر ظهور العمل الأدبي . إنّ الاستقبال و التلقي إذن ، لا يكون من فراغ معرفي أو خبراتي ، و لا يكون في صحراء من المعاني ، بل تغذيه جملة الاستعدادات القرائية للمتلقي و خبراته ، و المعايير السائدة في عصر ظهور العمل ، الأدبية منها و غير الأدبية كلّ هذا يلخّصه ياوس في مفهوم ( أفق التوقّع ) ، و هو كما يعرضه : (( نظام من المرجعيات المشكلة بصفة موضوعية ، و هو ، مع كلّ عمل في اللحظة التاريخية التي يظهر فيها ، ينشأ من ثلاثة عوامل أساسية : التجربة المسبقة التي اكتسبها الجمهور حول الجنس الذي ينتمي إليه النصّ ، شكل و موضوعاتية الأعمال السابقة التي يُفترض معرفتها ، و التعارض بين أسلوب اللغة الشعرية و أسلوب اللغة العملية ، العالم الخيالي و الواقع اليومي )) [[2]](#footnote-2)( 115 ) .

يبدو أنّ ياوس حاول رسم صورة مشروطة للقارئ أو المتلقي الذي يواجه العمل الأدبي ، صورة تنمّ عن دراية و كفاية معرفية هي نتاج خبرات هذا القارئ ، و حدود مراسه في التعامل مع الشكل الأدبي الذي ينتمي إليه العمل ، و المعنى هو الإلمام بجملة المعايير و القيم الفنية و الأدبية التي تصنع إطار الجنس الأدبي الذي يُفترضُ أن تُبدَعَ في ظلّه الأعمال الأدبية ، كما يُفترَضُ أن تُستَقبَلَ ضمن معاييره و قيمه أيضا .إنّ القارئ ، بالإضافة إلى معرفته بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه العمل ، موكول بأن يُلمّ أيضا بسيرورة النشاط الإبداعي الذي يخصّ الأعمال السابقة على ظهور العمل الجديد ، أي إدراك توالي النصوص في الزمان ، و إذا ما كانت بعض هذه النصوص قد رجّت التقاليد الفنيّة القديمة ، و أحدثت بذلك اختلالا أو تشويشا جديدا في هذه التقاليد ، ممّا يستدعي تشكيل استجابة جديدة أمام النصّ الجديد : (( إنّ أفق التوقّعات الذي يأتي من خبرة قديمة عند القارئ بأعمال سابقة ، يلتقي بالنصّ الجديد الذي يقرأه ، و حينئذ فتوقعاته قد تكون تنويعا على ما سبق أو تصحيحا له أو تبديلا كاملا أو مجرّد توقعات قديمة تنبعث من جديد )) [[3]](#footnote-3)( 116 ) .

إنّ العمل الأدبي في لحظة ظهوره لا يقدّم نفسه بجدّة مطلقة ، كما أنّ القارئ لا يتلقاه من فراغ معر في و خبراتي ، بل إنّ العمل الأدبي له محموله المعرفي و اللغوي أيضا ، و هو يُظهر هذا المحمول ضمن إشارات صريحة و ضمنية ، و في سياق مرجعيات يحيل القارئَ عليها ، لذلك يكون جمهور هذا العمل مؤهّلا نحو نمط معيّن من الاستقبال . إنّ العمل الجديد يستحضر في ثناياه أشياء قد تمّ تلقيها من قبل ، و يضع بذلك قارئه في حالة ما من الاستعداد النفسي ، و يتشكّل لديه ، منذ البداية ، توقّع حول ما سيعرضه النصّ عبر مراحل القراءة ، و هنا يمكن معاينة هذا التوقّع عمّا إذا كان سيتحقّق أو يُعدّل أو يعاد توجيهه أو يتمّ دحضه ، بحسب ، طبعا ، جملة المعايير التي تسنّها الأجناس و الأساليب [[4]](#footnote-4)( 117) .

إنّ النصّ الجديد ، كما هو في عرف ياوس ، يستحضر جملة من التوقّعات و القواعد ، التي تتشكّل من الأفق السائد في الجنس أو الشكل الأدبي ، ثمّ عمل على تجسيدها مسار الأعمال السابقة فغدت مألوفة معه ، لكنّ ألفتها لا تمنع من تعديلها و تصحيحها أو إعادة إنتاجها أثناء القراءة الجديدة ؛ ثمّ إنّ استقبال النصّ في مستواه التأويلي يفترض دائما سياق التجربة السابقة التي يتمّ من خلالها تعيين المنظور الجمالي ، كما أنّ إعادة تشكيل أفق التوقّع بشكل موضوعي يخضع لإعادة تشكيل استعداد القارئ نفسه ، و هو يواجه العمل ، و الحقيقة أنّ ذلك يتمّ بالعوامل الثلاثة التي يفترضها الأفق : ( المعرفة بقواعد الجنس – مقاربة العمل بالأعمال السابقة – و التعارض بين ما هو خيالي و ما هو واقعي ) يقول ياوس : (( إنّ ثالث هذه العوامل يتضمن ، بالنسبة للقارئ ، إمكانية إدراك العمل الجديد وفق الأفق الضيّق لتوقّعه الأدبي ، مقابلة بالأفق الواسع الذي توفّره له تجربته في الحياة )) [[5]](#footnote-5)( 118 ) . و بالتالي فإنّنا نقف مع ياوس أمام أفق مزدوج Double Horizon أفق أدبي و أفق اجتماعي ، ما دام النصّ لا يقول من فراغ ، كما أنّ القارئ بدوره لا يصدر من فراغ .

لا يقدّم ياوس فكرة أفق التوقّّّّّع للتجربة الجمالية للقارئ على أنّها فكرة ملازمة ، و في كلّ مرّة ، لصفة التحقّق و الإرضاء ، و أنّ هذا الأفق هو دائما أفق واحد نتلقى به الأعمال المتوالية مع كلّ تجربة جديدة ، بل إنّ هذا الأفق عرضة للتغيير و التحوير وفق الاستجابة القرائية للمتلقي ، و الأثر الذي يمكن أن يحدثه العمل في هذا المتلقي ، لذلك فإنّ ياوس يشير أيضا إلى مفهوم : تغيير الأفق Changement d'horizon الذي يمكن أن يحصل اعتبارا لتفحّص الانزياح الجمالي écart ésthétique بين أفق التوقّع الموجود لدى القارئ و بين العمل الجديد : (( إنّّ تغيّّّّر الأفق يسمح بإدراك الخاصية الفنّية للعمل ، بالقياس إلى المسافة الجمالية ، أي بالقياس إلى المسافة بين التوقّع و التجربة ، بين التقليد و التجديد )) [[6]](#footnote-6)( 119 ) ، فالعمل الجديد ، في لحظة ظهوره ، يكشف عن نمط أو طريقة يتجّلى بها لجمهوره الأوّل ، فإمّا أن يستجيب لأفقه أو يتجـاوزه أو يدحضه [[7]](#footnote-7)( 120 )، و النتيجة أنّ معيارا نقديا ما سينشأ للحكم على قيمته الجمالية .

1. (\*) - يطرح هذا المصطلح النقدي في جمالية الاستقبال إشكالية نظرية من حيث الترجمة و النقل إلى المدوّنة النقدية العربية ، إذ نجد المصطلح في الكثير من الدراسات العربية قد تُرجم إلى ( أفق الانتظار ) و في القليل منها نجده قد تُرجم إلى ( أفق التوقّع ) ، و الحقيقة أنّ ياوس يقرّ ، كما سبق أن ذكرنا ، بفضل كارل بوبر في منحه هذا المصطلح و هذا المفهوم ، إذ إنّ بوبر يستخدم في كتابه باللغة الإنجليزية ( All life is problem solving . p p 3 .4 .5. 10 . 38. 51 60. ) يستخدم كلمة expectation التي تعني التوقّع ، في حين كلمة Attente تعني الانتظار . و الأصل عند بوبر هو أنّ التوقّع يُبنى على إمكانية الدحض ( و هو منطلق النظرية العلمية التي تعتمد مبدأ قابلية التكذيب ) فما كان مبنيا على قابلية التكذيب هو من باب التوقّع و ليس من باب الانتظار ، لأنّ الانتظار يُبنى على قابلية التأييد ،لذلك فإنّنا نعتمد بكلّ موضوعية في هذا البحث مصطلح التوقّع بدلا من الانتظار . [↑](#footnote-ref-1)
2. ( 115 ) - jauss ; OP . CIT p 49 . [↑](#footnote-ref-2)
3. ( 116 ) - السيد إبراهيم : النظرية النقدية و مفهوم أفق التوقّع ، ص 169 . [↑](#footnote-ref-3)
4. ( 117) - Jauss ; Pour Une ésthétique De La Réception , p 50 . [↑](#footnote-ref-4)
5. ( 118 ) - IBID, p 52. [↑](#footnote-ref-5)
6. ( 119 ) - H . R . jauss ; Pour Une Herméneutique Littéraire ,p 429 . [↑](#footnote-ref-6)
7. ( 120 ) - ينظر : Jauss ; Pour Une ésthétique De La Réception , p 50. [↑](#footnote-ref-7)